كلمة أخيرة ...

للأستاذ سيد قطب

لست أملك أن أتمادى فى الحديث مع الأستاذ صلاح ذهنى أكثر مما فعلت حتى الآن ، حيث لا موضوع للحديث غير الشتائم والسباب ، وإلا فهو الرابح ... لقد عجز بإنتاجه فى القصة أن يكون موضع حديث أحد فى صحيفة ، فنال ذلك الآن عن طريق الشتائم والسباب !

وإلا ففيم كلمته الأخيرة ؟

لقد أخذت عليه أن لهجة رده الأول كانت لهجة بذيئة ، وأن ما جاء فيها من بيانات كان مستطاعاً دون الاضطرار إلى هذه البذاءة ، صوناً لمستوى المناقشات الأدبية . فإذا هو فى كلمته الثانية يهبط ويهبط ، حتى ليعز على كاتب يحترم قلمه أن يلاحقه .. لقد فشلتُ إذن فيما وجهته إليه أول مرة !

والمسائل التى أثارها ، فرددت عليها ، عاد يثيرها بالنص من جديد : توفيق الحكيم ليس كاتب قصة ، لأنه كاتب رواية ؛ والمازنى ليس كاتب قصة لأنه كاتب مقالة !

وعلى هذا النحو يسير ، فلا يجوز أن أتحدث عن قصص بورلير لأنه شاعر ، ولا عن قصائد لورنس لأنه قصاص . وعلىّ أن ألغى إنتاجهما الآخر ، فلا أذكره ولا أسميه . وهكذا فشلت مرة أخرى فى أن أرد الأستاذ إلى الموضوع !

وقلت له : إن إنكارى للمدارس الأدبية مسألة لا تستحق المناقشة ، لأنها تردنا إلى سذاجة فى النقد ، وإلى فوضى لا تنتهى . فقال : إننى تركت الحديث فيها لجهلى بها ... ثم إذا هو يقول عن تيمور : إنه ذو نزعة واقعية ينتمى بها إلى موباسان ... لقد عدنا إذن إلى أن هناك عنوانات ترد إليها الأعمال الفنية . وكان قد أنكر ذلك وأثبته فى آن واحد فى مقاله الأول . فرأيت الحديث فيه عبثاً ، وقد اتضح أننى محق فيما رأيت ، فبعد مقالين ها نحن أولاء لا نزال حيث كنا من قبل !

بقيت أمور جديدة فى قائمة الشتائم :

إننى لا أعرف لغة أجنبية : وهذا صحيح . ولعل منشأ كسلى عن تعلم لغة أجنبية هو أننى أرى الأستاذ صلاح وعشرات من أمثاله يعرفون لغة يتبجحون بمعرفتها ويلوكون مصطلحاتها ثم يكونون حيث هم ، وأكون حيث أنا . فأرى أن اللغة — وإن كانت ضرورية — لا تخلق المعدومين ، ولا تعدم الموجودين !

وثانية الشتائم أننى لا أكتب إلا عن الكتب التى تهدى إلىّ ، ولذلك استهديته كتب تيمور . والأستاذ صلاح مسكين فى هذا الهبوط ، ثم مسكين . ولكن ماذا يقول ، وقد أهدى إلىّ هو كتابه الأخير ، إهداء لا أدرى كيف أضع له الآن عنوانه فى سجل الأخلاق وهو : « إلى أخى الناقد البارع الأستاذ سيد قطب مع وافر التقدير » . ومع هذا فلم أكتب عنه شيئاً ، لأننى لم أجد أنه يستحق شيئاً ، فجاملته بالسكوت !

وليلاحظ أننى وقتها كنت « ناقداً بارعاً » وكنت الأستاذ فأما اليوم ، فأنا لا « ناقد » ، ولا « بارع » ، ولا « أستاذ » ، ولا يحزنون ... لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

وثالثة الشتائم فى القائمة أننى ظل العقاد فى الظهيرة . فلأكرر هنا ما قلته من قبل للدكتور مندور : إننى أفهم المسائل على نحو غير الذى يفهمه بعض « شبان » الجيل . إننى لا أحاول إنكار تلمذتى للعقاد ، لأن لدىّ ما أقوله وما أبدعه وراء ذلك ، فلست أخشى على وجودى حين أعترف بهذه الأستاذية ، وهى حق ، فلا يسمح لى خلق أن أنكرها أشد الإنكار ، وأن أبرأ منها كل البراءة ، كما كان الأستاذ صلاح يصنع ويتشنج حين يقال : إنه من تلاميذ تيمور !

* * *

وبعد ، فظل العقاد هذا يستطيع أن يكون « الناقد البارع » كما كنت عند الأستاذ صلاح فى ٢٣ أبريل الماضى ! وأن يكون « ناقد شعر فقط » كما أنا الآن عند الأستاذ صلاح أيضاً فى ١٢ أكتوبر الحالى . وأن أكون شاعراً كما يقول بعض الناس غير الأستاذ صلاح . فهل يستطيع أن يقول لى هو : ماذا يستطيع أن يكون ؟ لقد كنت أعنى ما أقول حين قلت له : إن إعزازى الشخصى له ، هو الذى يدعونى أن أناقشه ، وإلا فليس هنالك من محور أدبى نلتقى عنده ليستحق الحديث . وحتى هذا الإعزاز الشخصى قد عبث به ببذاءة التعبير ... تلك كلمة أخيرة ، لأن الشتائم فى متناول من يريد .

سيد قطب